الناس فزادت مهابتهم في صدورهم. وكان أعظم معين لهم على ذلك البنادق فإنه لا يعرفها أهل الحبشة إذ ذاك، ولولا هي ما قدروا على مرور الطريق، فإنهم كانوا ينصبون عليهم كالجراد فيرمونهم بالبنادق فيقتلون منهم وينهزمون ويفزعون لأصواتها وتأثيرها. ثم لما أيس صاحب الترجمة من إسلام السلطان طالبه بالإذن له بالرجوع إلى ديار الإسلام، فتثاقل عنه ثم بعد حين أذن له، وكان لا يصحو من شرب الخمر، فعيَّن له وقتاً يصل إليه للوداع، وترك شرب الخمر في ذلك اليوم، وجمع وزراءه وأمراءه وأعيان دولته، فأمر صاحب الترجمة أصحابه أن يرموا بالبنادق عند وصولهم إلى باب السلطان كما يفعله أهل اليمن، ويُسمون ذلك تعشيرة، فلما سمع السلطان أصوات البنادق هرب من إيوانه، وهرب الوزراء وسائر أصحاب السلطان، فدخل صاحب الترجمة الدار، ثم بعد ذلك عاد السلطان إلى مكانه، وأخذ في أهبة توجيهه إلى بلاد الإسلام. وكان جملة بقائه لديه ثلاث سنين. ورجع إلى حضرة الإمام سالماً. وهذه الرحلة مشتملة على عجائب وغرائب قد جمعها صاحب الترجمة في كراريس هي بأيدي الناس. ومن شعره أيام إقامته بالحبشة هذه الأبيات: [من الطويل]

عـلـى كُـلِّ سَـعْـيٍ فـي الـصّـلاح ثَـوابُ ... وكـلُّ اجـتـهـادٍ فـي الـرَّشـادِ صَـوابُ
وَلـيْـسَ عـلـى الإنـسـانِ إدراكُ غـايـةٍ ... وَدُونَ مَـداهـا لِـلـعُـيـونِ حِـجـابُ
وَلـوْ عـلـمَ الـسَّـاعـونَ غـايـةَ أمْـرِهـمْ ... لـمـا كـانَ شَـخْـصٌ بـالـشُّـرورِ يُـصـابُ
فَـقُـلْ لِأمـيـر الـمـؤمـنـيـن لَـقـدْ دَعـا ... وَحُـقّ لـهُ بَـعْـدَ الـدعـاءِ يُـجـابُ
وَلـكـنْ دَعـا قـومـاً يَـظـنُّـون أنَّـهـم ... رَمَـوْا غَـرضـاً فـي دِيـنـهـمْ فـأصـابـوا

وهي أبيات طويلة جيدة، وله أشعار أيام إقامته هنالك، وشعره جيد. (مات) في شهر ذي الحجة سنة ١٠٧٠ سبعين وألف[١].

(١٢٤)

(السيد الحَسَن بن أحمد بن مُحمَّد ابن عليّ بن صَلاح بن أحمد بن الهادي بن الجَلال)[٢]

ابن صَلاح بن مُحمّد بن الحَسَن بن المَهْدي بن عليّ بن المُحسن بن يَحْيَى بن يَحْيى الناصر بن الحَسَن بن عبد اللَّه بن مُحمَّد بن المختار لدين اللَّه القاسِم بن

(١) في رواية أنه توفي ثاني أيام عيد الأضحى من سنة ١٠٧١هـ.

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ٢٩٥؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٤٦، ٧٥؛ معجم المؤلفين: ٣/ ٢٠٣.

النَّاصِر بن الهادي يَحْيَى بن الحُسين بن القاسِم بن إبراهيم بن إسْمَاعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن عليّ بن أبي طَالب رضي اللَّه عنهم، المعروف بالجلال العلَّامة الكبير. (ولد) في شهر رجب سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف، بهجرة رغافة بضم الراء المهملة بعدها معجمة وبعد الألف فاء، قرية ما بين الحجاز وصعدة، ونشأ بها. ثم رحل إلى صعدة وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى شهارة وأخذ عن أهلها، ثم رحل إلى صنعاء وأخذ عن أكابر علمائها وما حواليها من الجهات. ومن جملة مشايخه القاضي عبد الرَّحمن الحيمي، والعلَّامة الحُسين بن القاسِم بن مُحمَّد، والعلَّامة مُحمَّد عزّ الدين المفتي، وسائر أعيان القرن الحادي عشر، وبرع في جميع العلوم العقلية والنقلية، وصنف التصانيف الجليلة فمنها (ضوء النهار) جعله شرحاً للأزهار للإمام المهدي، وحرَّر اجتهاداته على مقتضى الدليل ولم يعبأ بمن يوافقه من العلماء أو يخالفه، وهو شرح لم تُشرح «الأزهار» بمثله بل لا نظير له في الكتب المدونة في الفقه. وفيه ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وهذا شأن البشر. وكل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويُترك إلّا المعصوم، وما أظنّ سبب كثرة الوهم في ذلك الكتاب إلّا أن هذا السيد كالبحر الزخَّار، وذهنه كشعلة نار، فيبادر إلى تحريم ما يظهر له واثقاً بكثرة علمه وسعة دائرته وقوة ذهنه. ولا أقول كما قال السيد العلَّامة صَلاح بن الحُسين الأخفش في وصفه لبعض مصنفات صاحب الترجمة: إنه عظام لا لحم عليها، بل أقول: هو بحر عجاج متلاطم الأمواج. وله في أصول الدين (شرح الفصول) و(شرح مختصر المنتهى)، وفي المنطق (شرح التهذيب)، وفي أصول الدين (عصام المتورعين)، وغير ذلك من المؤلفات في غالب الفنون. وله حاشية كمل بها حاشية السعد على «الكشاف»، وحاشية على (شرح القلائد) ومجموعات مفيدة، ورسائل عديدة، وله القصيدة التي سماها (فيض الشعاع) أولها: [من الكامل]

الـديـنُ ديـنُ مُـحـمَّـد وصِـحَـابـهِ يـا هـائـمـاً بِـقـيـاسِـهِ وكِـتَـابِـهِ

وشرحها شرحاً نفيساً فيه فوائد جمة، ولي كثير من المناقشات في ترجيحاته التي يحررها في مؤلفاته، ولكن مع اعترافي بعظيم قدره وطول باعه وتبريزه في جميع أنواع المعارف. وكان له مع أبناء دهره قلاقل وزلازل، كما جرت به عادة أهل القطر اليمني من وضع جانب أكابر علمائهم المؤثرين لنصوص الأدلة على أقوال الرجال. وقد كان الإمام المتوكل على اللَّه إسماعيل بن القاسِم المتقدم ذكره يجله غاية الإجلال، ولا يعرف أهل الفضل إلّا أهله، واستوطن الجراف، ومات فيه، وقبره هنالك، وكان (موته) ليلة الأحد لثمانٍ بقين من ربيع الآخر سنة ١٠٨٤ أربع وثمانين وألف، وكان جيد النظم، وما أحسن قوله في القصيدة التي تقدمت الإشارة إليها مخاطباً لرسول اللَّه ﷺ: [من الكامل]

وَقُلِ ابنكَ الحَسَن الجلال مُبايِنٌ مَنْ قَدْ غَلا في الدّينِ مِنْ تَلْعابِهِ[١]
لا عاجزاً عنْ مثلِ أقوالِ الوَرى أو هائباً مِنْ عِلمهم لِصعابِهِ
فَالمُشكلاتُ شَواهدٌ لي أنني أشْرَقْتُ كلّ مُحقّقٍ بِلُعابِهِ[٢]
لَوْلَا مَحبَّةُ قُدوتي بِمُحمَّدٍ زَاحَمتُ رِسْطاليس في أبوابِهِ

ومنه: [من السريع]

وَشَادنٍ يَغْرَقُ أهلُ الهَوَى في حُسنِهِ فَابْكِ على وَارِدِهْ[٣]
مُذْ لاحَ في الخدِّ أخو أُمِّه عَاينت تَصْحِيفَ أخي وَالِدِهْ

وله مضمناً مع حسن التصرف: [من مجزوء الوافر]

رَفَعْتُ عِمامَتي فَرَأَتْ بِرأسي شَيْباً اشْتَعَلا
فَعادَتْ بعدُ تُنكِرُني فَقلتُ لها أنا ابنُ جَلا

١٢٥

(السيد الحَسَن بن إسْحَاق
ابن المَهْدي أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد)[٤]

ولد سنة ١٠٩٣ ثلاثٍ وتسعين وألف، ونشأ بصنعاء، فقرأ على السيد العلَّامة مُحمَّد بن إسماعيل الأَمير وغيره، وفاق في غالب العلوم. وصنّف تصانيف منها: (منظومة الهدي النبوي) لابن القيّم. ثم شرحها شرحاً نفيساً، ومنها رسائل نفيسة في علوم عدة، وكان أحد الرؤساء مع أخيه السيد العلَّامة مُحمَّد بن إسْحَاق الآتي ذكره إن شاء اللَّه تعالى. ثم اعتقله الإمام المنصور الحُسين بن القاسِم، وكان قد اعتقله الإمام المتوكل على اللَّه القاسِم بن حُسين، وله أشعار فائقة، منها وهو بالسجن: [من الكامل]

وَعَدَتْ أسيرَ الوَجْدِ ظَبيةُ حَاجرِ بالطَّيفِ يَطْرقُ في الظلامِ مَحاجِري[٥]

---

(١) غلا في الدين: تَشدَّدَ فيه، وجاوز الحَدَّ، وأفرط؛ قال تعالى: ﴿**ولا تَغْلُوا في دِينكُمْ**﴾ [النساء: ١٧١]. التَّلْعَابُ: اللَّعِب، والتِّلْعَابُ: الكثير اللَّعِب.

(٢) أَشْرَقَ فلاناً: أَغَصَّهُ. اللُّعابُ: الرِّيق.

(٣) الشَّادِنُ: ولد الظبية إذا قوي ومشى مع أُمِّه.

(٤) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ٢٩٧؛ معجم المؤلفين: ٣/ ٢٠٥؛ نبلاء اليمن: ١/ ٤٢٩؛ الأعلام: ٢/ ١٨٤.

(٥) يطرق: يزور ليلاً. المحاجر: جمع المَحْجر: ما أحاط بالعين.